إعداد: محمد نفيسة

الحوار سبيل التعايش

مع التعدد والاختلاف

ندوة فكرية شارك فيها:

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين

الأستاذ جودت سعيد

الأستاذ محمد عدنان سالم



دار الفكر المعاصر

بيروت - لبنان

الحوار سبيل التعايش

مع التعدد والاختلاف

الحوار سبيل التعايش

مع التعدد والاختلاف

ندوة فكرية شارك فيها:

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين

الأستاذ جودت سعيد

الأستاذ محمد عدنان سالم

إعداد: محمد نفسية

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

الكتاب ١٠١٣

الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م

دار الفكر المعاصر

لبنان ـ **بيروت** ـ ساقية الجنزير ، خلف الكارلتون
س . ت ٥١٤٩٧ ، ص . ب (١٣٦٠٦٤)
هاتف (٨٦٠٧٣٩) تلكس : FIKR 44316 LE
الصف التصويري : دار الفكر بدمشق

المحتوى

الموضوع الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فمع قرب نهاية القرن العشرين؛ تتسارع حركة التغيير في العالم، وتتبدل أساليب المواجهة والصراع بين القوى الرئيسة فيه، فبعد آلاف السنين من الحروب التقليدية، التي بلغت ذروتها باستخدام القنبلة الذرية في نهاية الحرب العالمية الثانية، انتقل العالم ليعيش في ظل حرب باردة بين القطبين المنتصرين في تلك الحرب، ثم دفنت تلك الحقبة في بداية التسعينات مع انهيار الاتحاد السوفييتي، وتشكل النظام العالمي الجديد، الذي لم تتوضح معالمه بعد، وأصبحت الولايات المتحدة القوة العسكرية الكبرى، وغدا الاقتصاد والمعلومات، الأداتين الأكثر مضاءً في التنافس بين الدول، بعد أن وصل التنافس العسكري إلى حد لا يمكن معه استخدام السلاح، لأنه يهدد الحياة على الكرة الأرضية.

في ظل هذه التغيرات، لازال العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه يعيش حرباً أهلية، ظاهرة حيناً، وباطنة حيناً آخر، ولا زال أكثر المسلمين غائبين عن العالم، غير مدركين لحركة التاريخ وتبدلات العصر، بل وغير واعين للأخطار التي تحيط بهم، والمهمات الصعبة التي تنتظرهم.

إننا لم نؤمن بالتعدد بعد، ولم نتخذ الحوار طريقاً لمعالجة الاختلافات فيما بيننا، لتحقيق التعايش المثمر، وصولاً إلى النضوج الفكري القائم على تلاقح الأفكار واحترام الآخر.

وإذا كانت بوادر الصحوة الفكرية قد بدأت في العالم الإسلامي، إلا أنها ما زالت في حبوتها الأولى، يعترضها ركام هائل من المفاهيم الموروثة، وتقف في وجهها آراء كثيرة، تلبس لبوس الدين وما هي منه في شيء..

هذه الصحوة تحتاج من المخلصين الواعين، من أبناء هذه الأمة، إلى حفز الهمم، واستنفار الطاقات، لدعمها ومساندتها، لتسريع عملية التوعية ورفد جهود التغيير.

وشعوراً من دار الفكر المعاصر بمسؤوليتها تجاه الأمة، في

نشر الوعي وتعميم الثقافة؛ دعت إلى ندوة فكرية ثقافية، بالتعاون مع معرض بيروت الدائم للكتاب في ١٣/ ٥/ ١٩٩٤م بعنوان (الحوار عبر التعدد والتعايش مع الاختلاف) شارك فيها كل من العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين، رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، والأستاذ جودت سعيد.

ولأهميـــة الأفكار والآراء التي طرحت في هذه الندوة، وضرورة إيصالها إلى كل مسلم، رأت دار الفكر المعاصر، أن تنشر نص هذه الندوة في كتاب يحمل العنوان نفسه.

وقد عملتُ على إخراج هذا الكتاب، وتوخَّيت الدقَّة في النقل، إلا ما كان من لوازم الإلقاء أمام الجمهور، ولا يفيد القارئ بشيء؛ فعملت على حذفه.

أدار الندوة الأستاذ أحمد راتب عرموش، وقسم مدة الندوة إلى شطرين، شطرٍ للسادة المنتدين، مدته ساعة ونصف، موزع بينهم بالتساوي، وشطر للحوار والمداخلات مدته ساعة كاملة..

ثم تحدث الأستاذ محمد عدنان سالم، فألقى كلمة صاحبي الدعوة: دار الفكر المعاصر ومعرض بيروت الدائم للكتاب، وعرَّف بموضوع الندوة وبالمشاركين فيها.

ثم ألقى كل من السادة المنتدين موضوعه، وأعقب ذلك حوار مع الحضور وتعقيبات للسادة العلماء.

إنها أفكار هامة متميزة، تتجاوز الكثير من الأطر التقليدية السائدة في مجتمعنا، وتعطي إيضاحات لكثير من النقاط التي تثار هنا وهناك، عن نظرة الإسلام إلى الحوار، وعن إمكانية التعايش بين أصحاب الاتجاهات المختلفة في المجتمع الإسلامي، وعن الجهاد والعنف والحرية الفكرية..

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يسدد خطانا جميعاً وأن يكتب لنا الأجر في الآخرة، والصلاح في الدنيا، إنه سميع النداء، مجيب الدعاء.

٢٥/ ١٠/ ١٩٩٤م

محمد نفيسة

القرآن الكريم

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّما الْمُؤْمِنونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمونَ ، يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسى أَنْ يَكونوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ، وَلا تَلْمِزوا أَنْفُسَكُمْ وَلاتَنابَزوا بِالأَلْقابِ. بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسوقَ بَعْدَ الإِيمان . وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأولئِكَ هُمُ الظّالِمونَ، يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا اجْتَنِبوا كَثيراً مِنَ الظَّنِّ، إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ، وَلاتَجَسَّسوا، ولا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخيه مَيْتاً؟ فَكَرِهْتُموهُ، وَاتَّقوا اللهَ، إِنَّ اللهَ تَوّابٌ رَحيمٌ، يا أَيُّها النّاسُ ! إِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفوا. إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ، إِنَّ اللهَ عَليمٌ خَبيرٌ﴾ . [الحجرات ٤٩/ ١٠-١٣]

صدق الله العظيم

التعريف بموضوع الندوة وبالمشاركين فيها :

محمد عدنان سالم

بسم الله الرَّحمَن الرَّحيم

سأدخل في موضوعي، دون مقدمات، لأعرِّف بموضوعات الندوة، وبرجالاتها، في حدود معلوماتي التي أعترف سلفاً بضآلتها:

فأما موضوعات الندوة، فإنها تدور حول: الاختلاف، والتعدد، والحوار، والتعايش.. كلمات قليلة، ذاتُ مضامين كبيرة؛ تثبت الأحداث المتلاحقة، في مجتمعاتنا الإسلامية المتباعدة، من لبنان إلى أفغانستان.. إلى مصر والجزائر فاليمن.. حاجتنا الماسة إليها.

لقد آن الأوان لكي ننبذ العنف وسيلة لحل مشكلاتنا، ونلجأ إلى الحوار عبر التعدد، كي ننعم بالتعايش رغم الاختلاف..

وإذا صح أن أفعال الإنسان تعكس قناعاته الفكرية، وأن واقعه نتيجةٌ لتصوراته الذهنية؛ فإن ضروب القصور والعجز والانقسام، والتخلف والتناحر والانهزام، التي نعانيها في حياتنا، لتشير بأصبع الاتهام إلى المناخ التربوي الذي نستنشقه، من خلال المدرسة والمعبد ووسائل الإعلام، وإلى الغذاء الفكري الذي تمدنا به: مناهجنا التربوية، ومكتباتنا الثقافية، ومنا برنا الإعلامية..

لقد عجزت ثقافتنا عن تحقيق أبسط أشكال (وحدة الصف)، في مرحلة نحن أحوج ما نكون فيها إلى رصِّ الصفوف، في مواجهة نظام دولي جديد، يحتكر العلم والمعرفة والتكنولوجيا، ويخطط لإذلالنا وإضعافنا، من خلال تفريق كلمتنا، وتمزيق صفوفنا؛ لكي يضمن تبعيتنا له، وقناعتنا بدور (الكلِّ على مولاه) يقدم له خيراته وعمالته بأبخس الأسعار، ويستهلك منتجات (مولاه)، التي يجهل كنهها، مستورداً لها بأعلى الأسعار..

لقد مللنا أفكارنا هذه، التي اهترأت من كثرة التكرار، وبليت من كثرة الاجترار، وشاخت من طول الأمد، وران عليها من الصدأ ماشغلنا بمظاهرها عن جواهرها، وبشكلياتها عن حقائقها، وقادتنا بخطابها العاطفي، وتأويلاتها المتشددة إلى التشرذم والقطيعة، بل إلى التكفير، وسل السيوف، وإهدار الدماء. . فوقعنا فيما حذرنا الله تعالى منه: ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ [الأنفال: ٨/ ٤٦]. ﴿ سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٦٢].

إن أمراضنا الثقافية المزمنة التي نعانيها لتحتاج إلى أطباء مَهَرة، من طراز جديد وفريد، لديهم القدرة على تجاوز الأطر الفكرية السائدة، والمفاهيم التقليدية المسيطرة. . إلى مستويات أكثر توغلاً في الأعماق، ورؤى أوسع مدىً في الآفاق. .

وإنها للحظة تاريخية نادرة. . أن تجتمع لنا في هذا الصرح الثقافي المجيد (معرض بيروت الدائم للكتاب) . . في هذا البلد الصامد الذي لاتزيده الأزمات إلا تمسكاً بأهداب الحرية الفكرية

(لبنان الحبيب). . أن تجتمع لنا هذه النخبة الفكرية المميزة، من أعلام الأمة الذين اتخذوا (الحوار) منهجاً لهم لا يحيدون عنه في أحلك الظروف، وطريقاً يلتزمونه مهما تنكبه الآخرون.

لقد استطاعوا جميعاً أن يعمموا (الخطاب الإسلامي)، ويتجاوزوا به الدائرة الضيقة إلى دوائر أوسع، وآفاق أرحب. . وأن يصلوا به إلى شرائح اجتماعية، تنتمي إلى مختلف المذاهب والتيارات الفكرية، أخذت تصغي إليهم، وتحاورهم فكان لهم الفضل الكبير في كسر الحواجز ومد الجسور. . وكانوا بحق دعاةً إلى الله - كما أمر الله - بالحكمة والموعظة الحسنة؛ يجددون لهذه الأمة أمر دينها، ويرسمون لها طريق خلاصها، ويجادلون عنها بالتي هي أحسن. .

إنهم رجالٌ عمالقةٌ، لمواضيع كبيرةٍ. لن يزيدكم تعريفي بهم علماً، ولن يزيدهم ذكري لمحامدهم شرفاً، فأنتم أدرى بهم لمعايشتكم لهم، (ومن ثمارهم تعرفونهم)، وهم في غنىً عن التعريف، بل إني لعلى يقين من أن الإطراء والإطناب يسوؤهم، لأنهم دعاة إلى الله ، يدخرون عنده أجورهم:

سماحة العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين

رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، ولد في النجف الأشرف بالعراق عام ١٩٣٦م، وكان والده الشيخ عبد الكريم شمس الدين قد هاجر من لبنان إلى العراق لطلب العلم، وعندما أزمع العودة إلى لبنان ترك ولده، وهو في الثانية عشرة من عمره لاستكمال تحصيله، في ظروف معيشية قاسية، ولم تكن سنوات جهاده الدعوي في العراق أقل شدة وقلقاً من سنوات التحصيل.. مما كان له أبلغ الأثر في تكوين شخصيته العلمية والقيادية، وحمل مبكراً هموم الدعوة الإسلامية، داعية إلى الإصلاح، والتغيير، بوعي لمستجدات العصر، وموضوعية تترفع عن الخرافة والتهريج.

ولم يكن (لبنان) وطن الأهل والعشيرة بعيداً عن دائرة اهتمامه، وتوقه إلى متابعة جهاده فيه، فعاد إليه عام ١٩٦٩م، وترأس منذ اليوم الأول لوجوده فيه الجمعية الخيرية الثقافية، فأعطاها بعدها الثقافي والاجتماعي، بما بعث في أعضائها من روح الألفة والتعاون..

ثم مضى يحاضر، ويشارك في الندوات، ويسهم في بناء

المؤسسات التربوية والمهنية؛ مدارس ومعاهد لن يكون آخرها مدرسة الضحى، في مجال التعليم وبناء الأجيال الإسلامية الواعية.

وعلى الرغم من انشغال الشيخ في قضايا المسلمين الاجتماعية والسياسية، فإنه لم يغفل عن التأليف، مقدراً للكتاب دوره في التغيير، ومقدماً للفكر الإسلامي مايربو على العشرين كتاباً؛ توزعت موضوعاتها بين الفقه والفلسفة والتاريخ والسياسة والاجتماع، وأظهرت مايتمتع به العلامة من عمق واجتهاد، وتعامل مباشر مع النصوص، وإحاطة بالواقع وبالمستجدات.

هذا فضلاً عن عشرات المقالات، ومئات المحاضرات التي وضح فيها مفاهيمه عن الإصلاح والتغيير، وعن الديمقراطية العددية القائمة على الشورى، وعن العلمانية، وعن الحوار الإسلامي المسيحي، وعن الصراع والقوة، وعن منطق الحرب والسلم..

إنه ركيزة أساسية من ركائز الحركة الإسلامية المنطلقة نحو الحوار والتعايش.

فضيلة الأستاذ جودت سعيد

عرفت فيه، مذ عرفته قبل ثلث قرن؛ حرية الرأي، واحترام الآخر، والتشبث بالحق، وإيثار الحوار، ونبذ التعصب، وكراهية العنف . .

لقد خرج من تجربته الذاتية المبكرة، مع جدته، ومع خطيب القرية، بأول درسٍ علمه أن يبحث عن الحقيقة، وراء الأفكار السائدة في محيطه، وأن يتجاوز المفاهيم المستحوذة على العقول، بالعودة إلى الأصول، وأن يقتحم الأسوار، ويخترق الحواجز، ويثقب الجدران، ويقلب وجهه في السماء، ويحدق في آيات الله المنبثة في الآفاق والأنفس . .

ومن تأملاته الأولى في قريته الهادئة (بئر عجم) في محافظة القنيطرة السورية، إلى صخب القاهرة ودراسات الأزهر والتجارب المريرة للحركة الإسلامية فيها، توالت العبر التي تعمقت لديه، فكان من حصيلتها إيمان لايتزعزع بالإنسان الذي كرمه الله، فأسجد له ملائكته، وبالعقل الذي ميز الإنسان عن

سائر المخلوقات، بحرية الاختيار، وبالعلم الذي هو ثمرة العقل، وبالقراءة التي هي رحم العلم، وبالحرية التي هي مناخ القراءة، وبالحوار الذي هو نتيجة الحرية، وباحترام الآخر الذي هو مقتضى الحوار.

ومضى في ظل قناعاته يخطب، ويكتب ويحاور، ويؤلف، على مدى أكثر من ربع قرن، وانتظمت مؤلفاته تحت عنوان شامل (سنن تغيير النفس والمجتمع)، وكتب مقدمات مطوّلة لكتب كثيرة، منها كتاب (أيها المحلفون! الله لا الملك) لمولانا محمد علي.

لقد ضمَّن كتبه ومقدماته ومقالاته عصارة أفكاره التي كان يهدف منها إلى تحرير (الإنسان) من ربقة التخلف، وأغلال التقليد، وظاهرة الكلالة، وعقدة العنف، وظلام السرية، ومذلة الخوف، وضبابية الرؤية.

ولم يكن يقدم أفكاره مجرد (نظريات)، بل كان يعيشها ويمارسها، فكان (القدوة) الذي يضرب للناس (المثل) في نفسه

حتى يعلمهم كيف تكون (الكلمة) أمضى من (الرصاصة)، والفكرة أقوى من (السلاح)، وكيف يمكن للمثقف أن يجهر بمبادئه، ويلتزم بقناعاته، لا يلويه عنها إغراء ولا وعيد، ويمارس حريته في التعبير من طرف واحد، لاينتظر الإذن له بممارستها من أحد.

أقدمه لكم في جسمه النحيل، وزهده الجليل، تتساءلون: هل نحن أمام ناسك زاهد؟ أم صوفي متعبد؟ أم فيلسوف سادر، أم عالم متبتل، أم مفكر إنسان.

نعم: أنتم أمام ذلك كله.. أمام جودت سعيد.

فضيلة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

لقد تكفلت كتبه التي أربت على الثلاثين؛ وانتشرت في سائر الأمصار، وترجم بعضها إلى العديد من اللغات، وشكلت في معظمها زاداً فكرياً أساسياً للشباب المتعطش إلى المعرفة، كما تكفلت أحاديثه الإذاعية والتلفيزيونية، ودروسه الأكاديمية في كلية الشريعة بجامعة دمشق، والدورية في مساجد دمشق، ومحاضراته ومشاركاته الفعالة في المؤتمرات العلمية والندوات الفكرية. . . تكفل كل ذلك بتعريفكم به، فلن يزيدكم حديثي عنه إلا تأكيداً لما وقر، في صدوركم من حب له، وإجلال وتقدير. .

ولد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في عام ١٩٢٩ في عين ديوار؛ القرية السورية النائية في شمال سورية على حدودها مع تركيا، وهاجر في طفولته المبكرة مع والده العالم الجليل ملا رمضان البوطي، وعمره لايتجاوز أربع سنين، فراراً بدينهم من (فتنة) مصطفى كمال أتاتورك، الذي أمعن في التنكيل بعلماء المسلمين واضطهادهم، محاولاً استئصال شأفة الإسلام من نفوس من استنارت قلوبهم به. . . وهيهات. .

ولقد نهل من علم والده الغزير، ومن فقهه العميق، وبصره النافذ في الأمور، وبعد نظره في المعضلات. . وظلَّ على بره وإجلاله لوالده، لايقطع أمراً دون مشورته، إلى أن توفاه الله عام ١٩٩٠.

وتابع تحصيله العلمي على يد علماء الشام، وفي معهد التوجيه الإسلامي في دمشق، ثم حمل الدكتوراه في أصول الشريعة الإسلامية من جامعة الأزهر عام ١٩٦٥.

ومارس التدريس أثناء طلبه للعلم، إلى أن استقر في كلية الشريعة بجامعة دمشق، أستاذاً فعميداً، وهو حالياً رئيس لقسم العقائد والأديان فيها.

لم يغفل العالم الإسلامي عن هذه الموهبة المتفتحة، فمثل هذا النبوغ العلمي المتميز، لن يُسمح له بقصر جهوده على بلد واحد، ولن يبخل هو على شباب العالم الإسلامي المتعطش إلى علمه، فها هو يطوف على معظم البلدان داخل العالم الإسلامي وخارجه، متجشماً عناء السفر، ملبياً كل دعوة مخلصة.

الإسلام
وسنة الاختلاف

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أعتقد أن حديثي سيكون بإذن الله مدخلاً إلى تجلية هذا الموضوع الجليل، ولا شك أن كلاً من أخويَّ اللذيْن سنصغي إليهما، سيكون دوره إما تصحيح ما أقول، أو صقل الحق فيما يمكن أن يوفقني الله عز وجل إليه . .

أحب بادئ ذي بدء، أن أضع بين أيديكم، مجملاً لما قد انتهيت إليه، من هذه الأطروحة الخطيرة، ثم أعود إلى التفصيل.

مجمل ما انتهيت إليه هو: أن الاختلاف، وتعدد الوجهات في المجتمع الإنساني، سنة ماضية من سنن الله - عز وجل - في عباده، فهي غير خاضعة لأي تحوير، كما أن سنن الله سبحانه وتعالى لا تقبل أي تبديل. ثم إن الإنسان، إما أن يقوم بوظيفته، التي كلفه الله - عز وجل - بها فيسيِّج هذه الاختلافات الماضية في عباد الله - عز وجل - بسياج من نظام الإسلام، ويظلها بمظلة

من حقيقة المجتمع الإسلامي القائم على الدعوة والتبليغ، بعد أن يعي هذا المسلم معنى الإسلام تماماً، وعندئذٍ تصبح هذه الاختلافات أنشطة فكرية داخلية، تغني المجتمع، ولاتتحول إلى خطر عليه. وإما أن يحاول الإنسان ـ دون طائل ـ القضاء على هذا الاختلاف، وتحويل التعدد المتمثل في الآراء والمذاهب إلى رأي واحد قفزاً فوق الإرشاد والحوار والتبليغ، وعندئذ لابد أن تتحول هذه الاختلافات، إلى صراعات مستشرية، وإلى تناقضات حادة، ولا بد أن تتفتح من ذلك، الثغرات التي تدع العدو يتسلل، ويتصرف، فيستغل هذه الاختلافات لمصلحته، ويجعل من المختلفين أسلحة لحربه...

فما الذي يختاره الإنسان، والحال هذه، وليس له خيار ثالث طبعاً؟.

وظيفة الإنسان بالنسبة للواجب الذي أقامه الله عليه ـ معروفة، وهذا ما أريد أن أفصّل القول فيه الآن.

الاختلاف سنة ماضية في الأسرة الإنسانية، لا أقول ذلك اعتماداً على اقتراح أقترحه، بل اعتماداً على تصور أخذته

واقتبسته من كتاب الله ـ عز وجل ـ ومن العبث أن أحوّل الخلاف إلى وفاق مطلق. ولقد بحثت في كتاب الله ـ عز وجل ـ عن آية تنهى عن الاختلاف ـ بمعناه المحدودِ كما تلاحظون ـ فما رأيت، ولكنه ينهى كثيراً عن التفرق والنزاع، أي ينهى عن النتائج السيئة للاختلاف، فهو يقول مثلاً ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ [آل عمران: ٣/ ١٠٣] وكان بالوسع أن يقول (ولاتختلفوا)، وهو يقول: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ [الأنفال: ٨/ ٤٦] وعندما نهى عن الاختلاف؛ نهى عن اختلاف محددٍ، كاختلاف بعض الأمم البائدة: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا﴾ [آل عمران: ٣/ ١٠٥] أي لا تكن اختلافاتكم اختلافات تهارجية، تؤدي بكم إلى صراع وهرج ومرج، ولقد سمعنا جميعاً، وقرأنا قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ [هود: ١١/ ١١٨].

إذن نحن أمام حقيقة، يمليها علينا بيان الله، ويؤكدها لنا خطابه، فما الوظيفة التي شرف الله بها المسلم حين يريد أن ينهض بواجبه في هذه الأسرة الإنسانية الكبيرة؟.

وأحب أن أقـول هنا: إن الواجب الذي يخـاطب الله به المسلم، هو صنو الواجب الذي يخاطب الله به كل الناس، وليس الإسلام في كيان المسلم، إلا نتيجة انصياعه لخطاب الله، الذي انصاع له قوم دون قوم. أما الوصايا التي سمعناها، وجاءتنا من عند الله - عز وجل - فهي وصايا وخطابات، اتجهت إلى الناس جميعاً، دون تحيز إلى فئة دون أخرى، فما مهمة المسلم تجاهها؟.

مهمتي كمسلم - كما ذكرت في الموجز الذي بدأت به كلمتي - أن أعمد إلى هذه الاختلافات التي أراها، والتي تنبثق من أفكار جعلها الله سبحانه وتعالى ممهدةً لهذه الاختلافات؛ أن أعمد إليها فأسيجها بسياج من نظام الإسلام وضوابطه، ثم أمد مظلة حقيقية فوق هذا المجتمع، مما نسميه نحن، المجتمع الإسلامي؛ أي واجبي أن أصبغ هذه الفئات المختلفة، وهؤلاء الناس الذين تعددت آراؤهم ومذاهبهم، أصبغهم جميعاً بصبغة المجتمع الإسلامي وأضع السِّياج الذي يضمن أن يكون هذا الاختلاف اختلافاً مغنياً، لا اختلافاً يستغله عدو يتربص بنا.

هنا كأني ببعض منكم يقول: أليس هذا تعبيراً عن تناقض حادٌ بين ما ينبغي أن نقوم به من واجب لإرساء النظام الإسلامي، والمجتمع الإسلامي، وبين ترك الاختلافات تتنامى فيما بين أبطالها وأصحابها؟ كثيراً ما ظن إخوة لنا، وشباب من أبنائنا المتجهين بحماس مبارك، ورغبة صادقة، للقيام بالواجب الذي كلفهم الله به، كثيراً ما تصوروا أن قيام المجتمع الإسلامي، يعني حرث هذا المجتمع، واجتثاث كل الاختلافات التي توجد فيه، وهذا تصور خاطئٌ، فما تعبدنا الله ذات يوم في إقامة المجتمع الإسلامي باجتثاث الاختلافات عنوة، وإنما تعبدنا الله بأن نتلاقى فنتحاور، ليغني الرأيُ الرأيَ، فإما أن تنتهي هذه الاختلافات طوعاً، وإما أن تبقى؛ لأن الفكرة تحتضنها، وعندئذٍ، فإن المجتمع الإسلامي ينهض على هذه الحالة، ويبارك هذا الوضع، دون أن يعطي الإسلام أي فردٍ من المسلمين - لا حاكماً ولا محكوماً - سلطة اجتثاث الرأي، من خلال اجتثاث مصدره ألا وهو الفكر.

وليس المجال متسعاً، لعرض فيضٍ من الأدلة على ذلك، ولكني أوجز وضع البراهين أمامكم:

أول مجتمع إسلامي قام، إنما هو المجتمع الذي شاده رسول الله ﷺ في المدينة المنورة؛ وأول دستور جسَّد هذا المجتمع إنما هو تلك الوثيقة، التي اكتتبها رسول الله ﷺ، لإقامة نسق تعاوني، بين شتى فئات الناس في المدينة المنورة. أقول شتى فئات الناس، الذين كان فيهم مسلمون وكان فيهم يهود من قبائل متنوعة، وكان فيهم أشتات يسيرة من أهل الكتاب أيضاً.

وعندما نصغي إلى هذه الوثيقة، نجد أنها تعلن إعلاناً صريحاً واضحاً، عن إقرار أصحاب هذه الآراء على آرائهم، وتركهم أحراراً لما اعتنقوه من تصورات وأفكار، بل نجد في بعض بنود هذه الوثيقة ما يدعو إلى حماية أصحاب هذه الآراء، طالما كانت هذه هي النهاية التي وقفوا عندها، وانتهوا إليها.

كل ما كانت الوثيقة تركز عليه؛ هو ألاّ يتحول هذا الاختلاف إلى سبب عدواني بين هؤلاء الفرقاء، وأنَّ على من ضمتهم أرض المدينة المنورة، أن يكونوا سنداً لهذا المجتمع، وأن يمنعوا أي عدوانٍ مستشرٍ يتسرب إليه. فإذا تسرب العدوان إليه، فعلى هذه الفئات كلها أن تقوم برد العدوان، كان هذا مع فجر

المجتمع الإسلامي، الذي تألق بعد جهادٍ طال ثلاثة عشر عاماً، قام به سيدنا رسول الله ﷺ ومعه الرعيل الأول من أصحابه. أرأيتم إلى المجتمع الإسلامي كيف يحتضن الاختلاف مع الدعوة ومع الحوار.

انتشر الإسلام فيما بعد، واتسعت الفتوحات، وفتحت الشام على يد سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه. فكيف كانت الشام وقد أظلها الفتح الإسلامي؟ وقد دخلت في ساحة المجتمع الإسلامي؟

بقيت الشام التي خضعت للمجتمع الإسلامي، إلى فترة متأخرة من عهد الحروب الصليبية، وفيها من المسيحيين قدر الذي فيها من المسلمين؛ وكان الجميع يتعايشون، وكان الكل تظلهم مظلة مجتمع، هو المجتمع الإسلامي.

بالأمس قلت في نهاية مؤتمر عقد في بيروت: عندما أقبل الغزو الصليبي خيَّر الأباطرةُ وقادةُ هذا الغزو المسيحيين الذين في ديار الشام أن ينحازوا إلى بني قومهم، أو أن ينحازوا إلى بني دينهم، فاتفقوا، أو اتفق جمهورهم الكبير ـ دون أن يفكروا

طويلاً ـ على الانحياز لبني قومهم؛ وقد شهد التاريخ بعد ذلك، أنهم بهذا الذي فعلوه، إنما انحازوا أيضاً إلى دينهم، ذلك لأنهم بهذا الذي صنعوه إنما حافظوا على الوطن الذي ينتسبون إليه، والقوم الذين يشكلون معهم شريحة من مجتمع واحد، وحافظوا إلى جانب ذلك، على الدين الذي كان ذلك المجتمع خير ضمانة لبقائه، ولاستمرار اعتناقهم إياه. فهذا لون آخر من ألوان المجتمع الإسلامي.

أضعكم عند نموذج ثالث: عندما قامت الدولة الأموية في الأندلس، وإنكم لتعلمون أنها قامت على حوار، ولم تقم على سفك دماء، ولو أن الذي جرى هناك سيوف امتُشقت لما سمعنا بتاريخ الدولة الإسلامية التي امتدت هناك إطلاقاً؛ لكنه الحوار والدعوة إلى الله.

قامت الدولة الإسلامية هناك، وامتدت قروناً متطاولة، وكان هنالك ـ تحت مظلة هذه الدولة ـ جَمعٌ كبير من اليهود، وكانوا يرون حماية، لا يستطيع اليهود أن يتذكروا مثلها في تاريخهم البعيد والقريب أبداً، ولما تهاوى صرح تلك الدولة

الإسلامية، في نهاية عهد ملوك بني الأحمر، خرج أولئك اليهود من تلك الحماية التي جعلتهم يتحصَّنون فيها في أمن وطمأنينة، وقضت الأقدار أن ينتهوا إلى شرٍّ نهاية، بعد أن خرجوا من حماية الدولة الإسلامية.

إذن، نحن هنا أمام برهان تاريخي، على أن المجتمع الإسلامي في أبهى صورهِ، كان يحتضن مذاهب شتى؛ ولكن كانت الرعاية بالنسبة لهذه المذاهب للإسلام، فما معنى هذا الكلام؟

معنى هذا الكلام - وأنا الآن أمام نقله إلى برهان ثانٍ - أن النظام الإسلامي، الذي تلقيناه وحياً من عند الله - عز وجل - يأمر القادة المسلمين، أن يقيموا هذا المجتمع الإسلامي على هذا النسق.

ولكن كيف يمكن أن يوجد مجتمع إسلامي، وفي داخله هذه الحركات، أو هذه الأفكار المختلفة المتعددة؟ والجواب أن من مبادئ الدين الإسلامي أن يعلم الناس، أن العقيدة إنما تستقر في الفكر اختياراً، ولا تلصق باللسان قهراً وإجباراً، هذا ليس أمراً

شرعياً فقط، بل هو قرار منطقي أيضاً، فأنا عندما أتبنى مبدأ من المبادئ، لايمكن لزيدٍ من الناس أن يجبرني على هذا المبدأ اعتقاداً؛ إنه يمكن أن يجبرني على النطق به، يمكن أن يجبرني على حركة عضوية أمارسها، لكن لا يستطيع أن يخلق معجزة، فيدخل مبدأه هذا في عقلي، وإذا بي أعتنقه، والإسلام اعتقاد، والإيمان يقين، ولذلك قال رب هذا الدين ﴿لا إكراه في الدين﴾ [البقرة: ٢/ ٢٥٦] وقد قلت مرة: لا هنا نافية وليست ناهية ﴿لا إكراه في الدين﴾ أي لا يتحقق الدين عن طريق الإكراه، وليس المعنى لاتكرهوا الناس لأن النهي عن الشيء فرع عن تصوره، ولا يُتَصور الإكراه.

ونحن نقرأ في كتب الشريعة الإسلامية حديثاً طويلاً، عن أحكام أهل الذمة، هذه الكلمة، التي طالما تصورها أُناس على غير حقيقتها؛ عندما تراكم عليها الكثير من أتربة الجهل. هنالك بحث مفصل في أحكام أهل الذمة، فلا يجوز لنا أن نحملهم على شيء من أحكام الشريعة الإسلامية التي لا يدينون بها؛ إن الحكم الذي نأخذ أنفسنا به ولا يعتقدونه هم في ديانتهم لا نجبرهم

عليه، بل ينبغي أن تكون لهم قناعاتهم، ولهم محاكمهم، ولهم آراؤهم، وعلينا أن نحمي ذلك في مجتمعنا، وتلك هي كتب الشريعة الإسلامية، تقرِّر ذلك، وأما ما نلتقي نحن وإيَّاهم على قاسم مشترك من الحكم، بأنه حرام، بأنه غير جائز، فهذا القاسم المشترك، يجمعنا وإياهم على صعيد واحد، من التعاون، في تطبيق هذا الحكم.

إذن، المجتمع الإسلامي ليس كما يتصور بعضهم مجتمعاً مُغلقاً لا يمكن أن تلتمع فيه بارقة رأي غير إسلامي، هذا التصور، إن كان هنالك من يحتضنُهُ، فإني أرجو وأتلطف بالنسبة لهذا الأخ، أن يعود إلى دراسة الفقه الإسلامي، بأناة ومهل، فلسوف يجد أنه قد أخطأ كثيراً فيما تصور.

الحصيلة التي أريد أن أنتهي إليها من هذا الكلام:

أننا ـ من أحكام الشريعة الإسلامية، وواقعها التاريخي ـ أمام مفتاح لحل مشكلات، ولسنا من ذلك، أمام مشكلة أو معضلة ضاعت مفاتيحها إطلاقاً.

نحن الآن لو أردنا أن نطبق الإسلام هذا التطبيق، فما المشكلة التي سوف نجدها أمامنا؟ لا توجد مشكلة، إلا أمر واحد؛ هو أن نتعلم كيف نتحول من الإسلام العاطفي الوثّاب، إلى الإسلام العلمي، الذي يسير بانتظام وتخطيط. هنالك كثيرون يخضعون وجدانهم للإسلام العاطفي، وهم بعيدون عن الرجوع إلى الشريعة الإسلامية، فإذا درسنا أحكام الشريعة الإسلامية، امتصت درايتُنا لهذه الأحكام الكثيرَ من اختلافاتنا، والكثيرَ من العوامل التي تجعلنا نتفرق في متاهات مختلفة؛ بل عندما نجد هذا فإننا سنجد أن أحكام الشريعة الإسلامية، تطوف جميعاً على محورٍ واحد، لا ثاني له في دار الدنيا؛ هذا المحور، هو أن يشارك كل إنسان عرف الله ـ عز وجل ـ في أي عمل يستطيع أن يقوم به، ليجعل من هذه الأسرة الإنسانية فعلاً أسرة واحدة متآلفة، أي ليحيل تدابر هذه الأمة إلى تلاقٍ وإلى توادٍ وتآلف وتضامن، إن لم يستطع أن يحيلها إلى وحدة حقيقية. هذه الحقيقة نلمسها، ونحن ندرس أحكام الشريعة، نلمسها ونحن ندرس العقائد، نلمسها ونحن ندرس الأخلاق،

ولاأستطيع أن أفتح ملف هذا الكلام هنا بتفصيل. وأنا من خلال دراساتي الكثيرة أو القليلة التي عكفت عليها، ما رأيت شيئاً في دنياي يقربني إلى الله، كعمل يجمع من شتات، ويؤلف هذا النثار، الذي أصبح يهددنا، لا بل أصبح ينقلنا من التهديد إلى الواقع المرّ، وأنا لا أكتمكم، أنني أنتظر أن أبشر باليوم، الذي أسمع فيه أن وحدة إسلامية عليا قد تحققت، تتألف من المجلس الشيعي الإسلامي الأعلى، ومن مجلس سني إسلامي أعلى، هذا العمل، عندما يتم، إنما يعبر عن خطوة وأي خطوة، في نطاق العبودية لله سبحانه وتعالى.

وأحب أن أقول في خواتيم كلمتي هذه شيئاً، طالما استشهدت به، سمعته في مؤتمر من مؤتمرات الجزائر، من صديقنا وأستاذنا سماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين، عندما وقف يتكلم في مداخلة أو في محاضرة، فقال: «إذا أحببنا أن ندلي بأدلة أوبراهين على آرائنا التي نتبناها، فإن لنا على ذلك شرط واحد، هو أن نستوثق من أن هذا البرهان، نستطيع أن

نظل نمسك به، إذا ما رحلنا إلى الله سبحانه وتعالى، ووقفنا بين يديه، عندئذ خذ من البراهين ما تشاء، وتمسك بها كما تريد، لكن بهذا الشرط». هذا الشرط ينبيء عن معانٍ كثيرة، فعند هذا الشرط تتساقط البراهين التي تولدت من جراء العصبية، تتساقط البراهين التي تولدت من جراء تغذية الأنا، التي في كياننا، لا أريد أن أزيد، فأنا ألاحظ أن الوقت قد انتهى، أو كاد، وقد قلت: إن حديثي سيكون مدخلاً، ولسوف تسمعون ما يصحح كلامي - إن شاء الله - أو يزيده بياناً ونصاعة.

مفهوم الجهاد

في ضوء الحرية الفكرية والسياسية

الأستاذ جودت سعيد

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى والآمرين بالقسط من الناس.

إن اطلاعي على الفكر والتراث الإسلامي قليل، واطلاعي على الفكر العالمي أقل، ولا أقول هذا تواضعاً، فلو كان اطلاعي أفضل، لكان موقفي وفكري أفضل، ولهذا أقول للشباب: يجب أن تزيدوا قراءاتكم واطلاعاتكم، فتتجاوزوا أفكارنا، وتصححوها، وتطرحوا أفضل منها.

إن العلم هو الذي يحل المشكلات، وعلى قدر علمي استطعت أن أحمل مشكلة العالم الإسلامي، وأن أفكر فيها وأنعم النظر، وفي كل يوم أسمع كما تسمعون ما يحدث في بلاد الأفغان، وما يحدث في اليمن، وما يحدث في الجزائر ومصر، وما حدث في لبنان؛ هذا البلد الذي نجتمع فيه اليوم، وما حدث في سورية منذ قليل، إنني أحتار، وإنكم تحتارون جميعاً، ما هذه الأعمال التي نقوم بها؟ إن هذا حيرني، ولكنه دفعني إلى التعمق أكثر، ولا أدَّعي أنني وصلت إلى جذور المشكلة، ولكنني

وصلت إلى آراء مختلفة عن الآراء السائدة في الشارع الإسلامي.

هذا التناحر الذي نتكلم عنه في جلستنا هذه؛ يضعنا أمام سؤال وجيه هو: كيف نتحاور مع تعدد الآراء؟ وكيف نتعايش مع الاختلاف في المفاهيم؟ بل إنني أذهب إلى ما وراء هذا فأقول: ما المرجعية عند الاختلاف والتعدد؟ وما الحد الذي يقف عنده امتشاق الحسام ورفع السيف؟ ومتى يجوز؟ هل تركنا الشرع الإسلامي دون أن يوضح لنا الحدود الفاصلة والشروط الدقيقة فيمن يرفع السلاح، وفيمن يُرفعُ عليه السلاح؟ ما هي الشروط في هذا وذاك؟

ولأن الإسلام شرع الجهاد؛ فقد ظن كثير من المسلمين أن الباب مفتوح على مصراعيه، وعندما حاولوا تطبيق الجهاد، دون بحث في شروطه، حدثت هذه الأمور المأساوية التي نعانيها.

وقد كتبت ـ قبل ثلث قرن ـ ما تيسر لي من معلومات في هذا الموضوع بعنوان: (مذهب ابن آدم الأول) الذي قال لأخيه:

﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ﴾ [المائدة: ٥/ ٢٨] ، وركزتُ في هذا الكتاب على العلاقة فيما بين المسلمين.

لقد نادى رسول الله ﷺ المسلمين: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» وقال: «إذا التقى المسلمان بسيفهما، فالقاتل والمقتول في النار»، إنني أريد من الشباب أن يفكروا في هذه الأمور، ولا علينا أن نُقتل، ولكن على ألا نذهب إلى النار، وألا نعيش في نار الدنيا أيضاً، وإننا لنعيش في النار في الدنيا قبل الآخرة. ولما فكرت في هذا الموضوع، وكتبت هذا الكتاب؛ عرضته على العلماء الذين استطعت أن أعرضه عليهم، وطلبت منهم أن يكتبوا في هذا الموضوع، وكان منهم أخونا الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، وقبل ثلاث سنوات، عرضت عليه كتابي مرة أخرى، وقلت له: يا أستاذي إن لكم في العالم الإسلامي الكبير مقاماً، وإن كثيراً من الناس يرجعون إليكم ويسمعونكم، أما أنا فإنسان مجهول لا يقبل مني ما أقول، وإنني مطمئن إلى أن رفع السيف له شروط دقيقة في

الإسلام، من الذي يرفعه وعلى من يُرفع وإذا بقينا على جهلنا في هذا الموضوع، اختلط الحابل بالنابل، فأرجو منك أن تكتب في هذا الموضوع، فتحقن الدماء، وتبين للمسلمين أمر دينهم، وإذا وجدتني مخطئاً فردني إلى الصواب، فكان من نتيجة هذا الرجاء الحار، أن أصدر الدكتور البوطي كتاب (الجهاد في الإسلام، كيف نفهمه، وكيف نمارسه)، فجزاه الله خيراً على ما قدم، ونرجو منه في المستقبل أن يدعم هذا الاتجاه أكثر فأكثر، لأن الحاجة إليه كبيرة، والاختلاط كثير، وكثير من العلماء لا يريدون أن يبحثوا هذا الأمر، وينصرفون عنه إلى الأشياء العاجلة التي تقع بيننا، ولكن المشكلات تتكرر، و ﴿إن عدتم عدنا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٨] ولن يغير الله واقعنا ما لم نغير ما بأنفسنا.

لقد قرر الدكتور البوطي في هذا الكتاب قرارات هامة، وتوصل إلى أشياء تعدُّ ثورة في الفكر الإسلامي، فقد قال: ليس في الإسلام قتل بدون محاربة، وقد سمعتم ما قرره الآن أيضاً من أنه لا يجوز رفع السيف على إنسان لم يقاتل ولم يرفع سيفاً في المجتمع الإسلامي، وهذه فكرة أساسية ﴿فَإِنْ أَلْقَوْا إِلَيْكُمُ

السَّلَمَ فَما جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبيلاً﴾ [النساء: ٤/ ٩٠]، و﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذينَ لَمْ يُقاتِلوكُمْ في الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ، أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقسِطوا إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٦٠/ ٨] والبر ليس هو المعاملة بالمثل فقط، بل هو المعاملة بالأفضل، أي بالإحسان والآن أريد أن أطلب أمامكم أيضاً من أخي وأستاذي العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين، الذي له مقامه في العالم الإسلامي وفي بلده، أطلب منه أن يكتب في هذا الموضوع، متى يجوز في الإسلام للإنسان أن يرفع سيفاً على الآخر ليقتله؟ وإنني مطمئن إلى أن أي عالم يبحث هذا الموضوع سيصل إلى أشياء واضحة في الشريعة الإسلامية، في القرآن الكريم، أو في السنة النبوية، أو في أعمال الصحابة، أو في تقريرات الفقهاء، ولكن أريد أن أنبه إلى أمر هام، هو أننا وإن كنا نقرأ في القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظيمٌ، يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سوءِ ما بُشِّرَ بِهِ، أَيُمْسِكُهُ على هَوْنٍ أَمْ يَدُسُّهُ في التُّرابِ أَلا ساءَ ما يَحْكُمونَ﴾ [النحل: ١٦/ ٥٨ و ٥٩]، ومع ذلك

فنفوسنا لا تفرح بالأنثى كما تفرح بالذكر، لأن التحول النفسي يختلف عنه قراءة الحكم قراءة قانونية، وفي الدستور الأمريكي نص على أن الناس متساوون أيضاً، ولكن الأسود هناك لا يتساوى مع الأبيض، وأنا عندما أخاطب الشباب المسلم وأقول: أنا على مذهب ابن آدم الأول، فإنهم يستغربون جداً، ويقولون هذا شريعة من قبلنا، مع أنه ورد في كتب السنة التي يتقلبها المسلمون جيداً، عن صحابة جيدين - كأبي موسى الأشعري، وأبي ذر الغفاري، وسعد بن أبي وقاص - أن رسول الله ﷺ، لم يكن فقط يمارس عدم جواز الدفاع عن النفس، بل حذر المسلمين من الخوض والوقوع في الفتن في المستقبل، فقد قال لأبي ذر: «كيف أنت إذا أصاب الناس موتٌ يكون البيت فيه بالوصيف؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «عليك بالصبر» ثم قال: «يا أبا ذر!» قلت: لبيك وسعديك، قال: «وكيف أنت إذا رأيت أحجار الزيت تغرق بالدم؟» قلت: ما خار الله لي ورسوله، قال: «عليك بمن أنت منه». قلت: يارسول الله: أفلا آخذ سيفي فأضعه على عاتقي؟ قال: «شاركت القوم إذن». قلت: فما

تأمرني؟ قال: «تلزم بيتك». قلت: فإن دخل على بيتي؟ قال: «فإن خشيت أن يبهرك شعاع السيف، فألق ثوبك على وجهك يبوء باثمك وإثمه». وفي رواية عن سعد بن أبي وقاص قال: قلت يا رسول الله أرأيت إن دخل على بيتي وبسط يده ليقتلني! قال: فقال رسول الله ﷺ: «كن كابن آدم» وتلا الراوي: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ما أَنا بِباسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ، إِنِّي أَخافُ اللهَ رَبَّ العالَمين﴾ [المائدة: ٥/ ٢٨].

ورغم أن هذه الأحاديث مثبتة في المراجع المعتمدة، ولكنني لم أرَ أحداً من المسلمين استشهد بها كأحاديث ينبغي أن تطبق.

ولكن أليس هناك حالات نحتاج إلى تطبيقها فيها؟ إنني أرى أننا نعيش اليوم في حالة توجب علينا ألاّ نرفع السلاح على إخواننا المسلمين، ومن هنا أوجه الدعوة للإخوة العلماء ليفصّلوا الموضوع، لأنهم أقدر مني على فهمه وتبليغه للناس كي تُحقن الدماء..

إنني لا أقول: يجب ألا نقاتل إسرائيل، ولكنني أقول لكم: إن إسرائيل ليست هي مشكلتنا الرئيسية، وإنما تعلّة نلقي عليها

مشاكلنا، وإسرائيل نتيجة لمرضنا وتخلفنا، إنها عرض لمرضنا، كما أن مشكلة البوسنة والهرسك، والحروب الصليبية القديمة والجديدة نتائج لمرضنا، لقد نسينا إسرائيل في حرب الخليج، ولم يعد يُسمح لنا أن نذكرها.

إذن: المشكلات التي بيننا - نحن العرب والمسلمين - أخطر من إسرائيل ومن أمريكا، وهي التي تجعلنا نلجأ إلى إسرائيل وأمريكا ونقول لهم: نرجوكم تعالوا واقضوا على هذا السرطان المنتشر فينا..

ليس في كلامي حلٌّ للمشكلات، لكنني أقول للشباب أن يتفكروا ﴿قُلْ إنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ، أَنْ تَقوموا لله مَثْنى وَفُرادى ثُمَّ تَتَفكَّروا ما بِصاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ [سبأ: ٣٤:٤٦] ما برسول الله من جنة حين قال لنا: كن كابن آدم مع أخيه.

إن الناس في العالم ينقسمون إلى مذهبين، والقرآن يقرُّ بوجود هذين المذهبين: مذهب ابن آدم الذي يريد حل المشكلات بالعنف، ومذهب ابن آدم الذي رفض هذا ولجأ إلى السلم، ولذلك كل الذين يقبلون بحل المشكلات بالسلم يدخلون في

الإسلام السياسي، لهم ما لنا وعليهم ما علينا، فالله لما يقول: ﴿لا يَنْهاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذين لَمْ يُقاتِلوكُمْ في الدّين﴾ [الممتحنة: ٦٠/ ٨] أي دخلوا في السلم ﴿وَلَمْ يُخْرِجوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ﴾ [الممتحنة: ٦٠/ ٨] لأجل إيمانكم أي لم يظلموا. هؤلاء دخلوا في السلم، وأعلنوا أنهم سيعيشون ويُحلُّون مشكلاتهم بالسلم، فلهم الحقوق كاملة، وإن لم يدخلوا في عباداتنا وفي عقائدنا، لقد حققوا ما طلبه الله بقوله: ﴿يا أَيُّها الَّذين آمَنوا ادْخُلوا في السِّلْمِ كافَّةً﴾ [البقرة: ٢/ ٢٠٨] وآمنوا بـ ﴿لا إكْراهَ في الدِّين﴾ [البقرة: ٢/ ٢٥٦].

وقد أشار الدكتور البوطي حين تناول موضوع ﴿لا إكراه في الدين﴾ أشار إلى شيء هام، وهو أن (لا) هنا ليست للنهي، وإنما هي للنفي، أي أنه لا يمكن أن يكون هناك إكراه في الدين، لأنك تستطيع أن تغير لسان المرء، ولكنك لا تستطيع أن تغير قلبُه، ودينه في قلبه لا على لسانه، لهذا قال تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾.

وأنا أضيف بأن الإسلام جاء بـ (لا إكراه في السياسة)، لا إكراه في صنع الحكم في المجتمع الإسلامي، هذه الفكرة الجميلة جعلت المسلمين يجمعون إلى حدٍ كبير على أن الرشد قد انتهى بعد الخلفاء الأربعة، ولم يعد هناك خلفاء راشدون، لماذا؟ لأن هؤلاء الأربعة ، قد أخذوا الحكم بغير عنف، وبغير استخدام السيف الذي استخدمه معاوية، وكذلك لم يجعلوا الحكم وراثة في أبنائهم.

إذن، كانوا راشدين لأنهم لم يغتصبوا الحكم، وهذا شيء أساسي في الحياة الإنسانية، فالبشرية في تلك الأيام لم تكن تعرف غير وارثة الملك والقهر، وكان ما فعلوه شيئاً جديداً في العالم، ولهذا حين قال تعالى: ﴿لا إكراه في الدّينِ﴾ أتبعها بقوله: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ لقد تبين الفرق بين الذين يأخذن بالإكراه، ويفرضون أفكارهم على الناس، ولا يسمحون لهم أن يروا رأياً آخر، وبين الذين يؤمنون بالله، ويحلّون مشكلاتهم بطرق سلمية، ويتركون للناس حرية الرأي والمعتقد.

إن أهم مشكلات العالم اليوم مشكلتان: مشكلة الحرية

الفردية الداخلية التي يسمونها (حرية العقيدة)، ومشكلة حرية المجتمعات التي يسمونها (الديمقراطية)، والإسلام جاء بـ ﴿لا إكراه في الدين﴾: لا إكراه في العقيدة، وبلا إكراه في السياسة، أي أن للمجتمعات الحق في أن تصنع سياساتها برضاها.

وأظن أننا يجب ألا ننتقد الآخرين، بقدر ما يجب علينا أن نمارس التوبة من الأخطاء التي نرتكبها، فنحن الذين لا نقبل حرية العقيدة وحرية السياسة، إننا نمارس الإكراه في الدين، ونمارس الإكراه في السياسة. لعلّي أتحدث بعنفوان في هذا الموضوع، ولكنها مشكلات كبيرة، ينبغي أن نبحثها، وينبغي أن نجهد أنفسنا لنجد حلولاً لها.

إن علينا أن ندخل في السلم: ﴿وَلاتقَولوا لِمَنْ أَلقى إلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾ [النساء: ٤/ ٩٤] يكفينا من إيمانه أنه دخل في الحياة السلمية، وأما الذي يقول: أريد أن أكره الناس على ما أعتقد، وأن أتسلط عليهم، فهذا الذي يقول الله فيه: ﴿فَإنْ لَمْ يَعْتَزِلوكُمْ وَيُلقوا إلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفّوا أيْديَهُمْ فَخُذوهُمْ وَاقْتُلوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُموهُمْ وَأُولئِكَ جَعَلْنا لَكُمْ عَلَيهِمْ سُلْطاناً مُبيناً﴾ [النساء: ٤/ ٩١].

إنها أمور واضحة، وأنا مطمئن إلى صحتها، ولكنني أخشى من الموروثات الفكرية التي لا تزال معشَشة في نفوسنا، والتي تدفعنا لأن ننادي ونقول: أين الجهاد؟ دون وعي لشروطه وضوابطه.

ومع شديد الأسف لم أجد مَن يبحث في شروط الجهاد، ولا من يفرّق بين القتال الذي يمارسه الخوارج وبين الجهاد الإسلامي الذي أُمرنا به، لذلك أصبح العالم الإسلامي جميعه على مذهب الخوارج تطبيقاً في هذا الأمر، لأنهم يجيزون أخذ الحكم بالقوة، هذا مذهب الخوارج الذين أباحوا دم علي وكفَّروه.

أسس العلاقات

بين

المسلمين وغيرهم في المجتمع الواحد

العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه، الذين اتبعوه بإحسان، وعلى جميع أنبياء الله، وعباده الصالحين.

الحمد لله على نعمته، التي يسرت لي أن أنتفع مما سمعته، من الأستاذ الجليل والعلامة الكبير البوطي، وجناب الأستاذ الجليل جودت سعيد، حفظه الله، وليس عندي ما أضيفه إلى ما أفادا وأفاضا فيه، إلا أني أبادر إلى الإشارة إلى أني لم أفهم كثيراً فقرة وردت في كلام الأستاذ جودت سعيد، عن أن إسرائيل ليست مشكلتنا، وإنما المشكلة فينا. هذه النقطة في الحقيقة لم أفهمها، ولعل قصور فهمي هو الذي حجب عني ما يقصده من معنى.

ما أفاده الأستاذان الجليلان هو من مسلماتنا جميعاً، ولا أعرف عالماً بمعنى الكلمة للعالم يمكن أن يجادل كثيراً فيما قيل، ربما يجادل قليلاً، وإذا كان لي أن أضيف شيئاً إلى ما أفاداه، فلا يعدو أن يكون تقسيماً لساحة البحث، ولحقل البحث فلعل في التقسيم تفصيلاً مفيداً، يزيد أفكارهما وضوحاً ودقة وسداداً.

عنوان هذه الندوة (الحوار عبر التعدد والتعايش مع الاختلاف)، الحوار لا يكون إلا مع التعدد، وإلا يكون حواراً مع الذات ، ويكون حديثاً مع النفس، فإذا لم يكن هناك تعدد، فليس هناك حوار، ومن هنا، فنحن في مجتمعاتنا، إما أن نؤمن بالحوار وهذا يستبطن اعترافنا بالتعدد، وإما أن نزعم أننا لسنا متعددين، أو متنوعين فما لنا وللحوار إذن؟ عندئذ يكون حديث الإنسان مع نفسه فقط. والتعايش - وهو التفاعل - لا يكون إلا بين المتعددين والمختلفين، وإلا فالإنسان لايتعايش مع نفسه، لكنه يعيش نفسه ويعيش ذاته.

إذن، عنوان الندوة يفترض وجود تعدد واختلاف، والتعامل - تعامل المختلفين - إما أن يكون بالحوار، أو بالقطيعة، والمختلفون إما أن يتعايشوا، وإما أن يتقاطعوا. هنا أصل إلى تفصيل وفهرسة حقل الندوة، نحن الآن في قاعة المعرض الدائم للكتاب، جمهور متجانس في بعض ماينطوي عليه، ومتنوع في بعض ماينطوي عليه، ونعيش في بيروت عاصمة لبنان، ونعيش في لبنان إحدى بلدان وأوطان العرب، ونعيش في العالم العربي

الذي هو جزء من العالم الإسلامي، وفي العالم الإسلامي الذي هو جزء من العالم، هكذا نحن، من هنا لنا وشائج تلتقي بنا في مساحة العالم كله، فعن أي تعدد نبحث في الحوار؟ وعن أي اختلاف نسعى في التعايش؟ تارةً نبحث عن تعدد وحوار واختلاف وتعايش بين المسلمين والمسلمين، وقد بدا لي من عرض الشيخين الجليلين، أن هاجس المسلمين مع المسلمين – حواراً وتعايشاً – هو هاجس ظاهر في هذه الندوة، وتارةً نبحث عن حوار المسلمين مع المسلمين، باعتبار أنهم متعددون، وعن تعايش المسلمين مع المسلمين باعتبار أنهم مختلفون، وتارةً نبحث عن حوار وتعايش مسلمين مع غير مسلمين: مسيحيين أو يهود أو مجوس أ و أتباع أي دين آخر أو من لايتبعون ديناً من الأديان، فكيف يكون حوار المسلمين أو تعايشهم مع هؤلاء؟ تارةً يكون هؤلاء، في وطن واحد، وفي مجتمع سياسي واحد، وفي مجتمع أهلي واحد وفي دولة واحدة، مسلمين وغير مسلمين، وأخرى لا، فيكونون أغياراً بالمعنى السياسي والتنظيمي، أي هم أغيار في الانتماء العقيدي، وأغيار في الانتماء التنظيمي إلى المجتمع، وإلى الدولة.

في الحقيقة نحن على مستوى، عربي وإسلامي وعالمي نواجه حقولاً عديدة ونعمل في حقولٍ متنوعة، هي هذه الحقول، باستثناء حقل مسلمين مع مسلمين، وهو حقل، أرى أنه من المخجل أن يكون موضوعاً لبحثنا في هذا الزمان، بين المسلمين والمسلمين، أريد أن أنتهي من هذه العوْرة بسرعة. فبين المسلمين والمسلمين كان هناك مراحل من الحوار، حوار علم الكلام، وحوار الفتنة، وقد بدأ المسلمون حوارهم بالفتنة منذ صفين، وتصاعدت هذه الفتنة، وتنامت، وبلغت أوجها في بعض المراحل التاريخية، وخاصة في القرن التاسع عشر الميلادي. وفيما يبدو لي أنها انطفأت، وقد انتهينا من هذا الحقل، فلم يعد هناك اختلاف يولد الفتنة، وإن بقيت اختلافات تستدعي الحوار، لا بالمعنى السياسي، بل بالمعنى العلمي، الذي يبحثه العلماء والفقهاء والمفكرون.

وأما ما أشير إليه من معالم الفتنة الجديدة، التي تبدو مظاهرها الآن في عدة مواقع، في الجزائر، أو في أفغانستان، أو في مصر، فيما بين المسلمين أنفسهم، وليس فيما بين المسلمين والأقباط، أو في لبنان، في فتنتنا فيما بين المسلمين أنفسهم،

وليس فيما بين المسلمين والمسيحيين، فهذا أمر أقول بصراحة: إنه نتيجة لتدين من غير فقه، وحماس من غير ورع، وجهل بأحكام الشرع الشريف، وإذا كان جناب الأستاذ جودت سعيد قد تحدث عن مذهب ابن آدم الآدمي الذي حكى عنه الله بقوله: ﴿ لَئِنْ بَسطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ما أَنا بِباسطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ ﴾ [المائدة ٥/ ٢٨] فهذه الشريعة هي شريعة الإسلام، فيما بين المسلمين أنفسهم، نص عليها كتاب الله، وصرحت بها سنة رسول الله، وأفتى بها الفقهاء العظام على مدى التاريخ.

وقد كتبت في الزمن القديم كتاباً، ربما يكون كالذي كتبه أستاذنا الجليل البوطي، وهو مخطوطة عندي آمل أن أوفق لنشرها، وقد توصلت إلى أن استخدام العنف المسلح فيما بين المسلمين أنفسهم، وفي نطاق الحركة الإسلامية العالمية المقدسة والمباركة؛ محرَّم بجميع المعايير.

لقد درست العنف بعنوان، أنه جهاد، فتبين أنه ليس جهاداً، وبعنوان أنه أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، فتبين أنه ليس أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر، وبعنوان أنه قتال بغاة، فتبين أنه ليس

قتال بغاة، وبعنوان أنه وسيلة لتطبيق الشريعة الإسلامية، فتبين أنه ليس وسيلة لتطبيق الشريعة الإسلامية، فهو عمل غير مشروع بجميع المقاييس.

وفي الجهاد ضد غير المسلمين - والجهاد لايكون إلا ضد غير المسلمين - تبين لي - وهذا أمر خالفت فيه مشهور مانقل عن الفقهاء، ونسأل الله العصمة، في كل ماينفتح له فهمنا - تبين لي أنه لايوجد في الإسلام مايسمى جهاد دعوة، بمعنى أن الكفر وحده، أو التدين بغير الإسلام؛ هو سبب مشروع لقتال غير المسلم، وأن كل جهاد شرعه الله فإنما هو جهاد دفاع.

إذن، بين المسلمين والمسلمين لايمكن أن يكون إلا الحوار، فيما يبني الإسلام، ويبني المسلمين، ويقيم حياة مشتركة، أما بين المسلمين وغير المسلمين في مجتمع واحد، كمجتمعنا اللبناني، أو المصري، أو أي مجتمع آخر، فيه تنوع ديني، وفيه انتماء وطني واحد؛ فلم يشرع الله تعالى غير الحوار لإقامة مجتمع سياسي واحد في الانتماء السياسي التنظيمي؛ وإن كان مجتمعاً أهلياً متنوعاً في انتمائه الديني والعقائدي. وكما ذكر جناب

الأستاذ البوطي، فإن التجربة الإسلامية القاعدية في سيرة الرسول - عليه السلام - في مجتمع المدينة، ودولة المدينة؛ هي القدوة المحتذاة، هذه التجربة هي السنة المحتذاة، كلما واجه المسلمون تنوعاً في مجتمعهم.

أمّا ما أنتجهُ الفقهاء في أبحاث الفقه والتنظيم السياسي، واشتمل على مصطلح أهل الذمة، فإنما هو مصطلح أنتجه مناخ فقهي، كان سائداً في ذلك الحين، وكان نتيجة لعرفٍ حقوقي سائد في العالم، وأنا أتمنى وأطلب من جميع الباحثين أن يدرسوا أوضاع المتنوعين دينياً، في مجتمعات غير المجتمعات الإسلامية، في عصر نشوء هذا المصطلح، الذي ليس له ذكر في القرآن، ولا يوجد عندنا في السنة الشريفة مصطلح أهل الذمة بما هم جماعة سياسية تنظيمية منفصلة عن موجبات الالتزام التنظيمي في المجتمع، توجد ذمة في بحث الإذمام من أحكام الجهاد، ففي حالة الحرب يقال: إن للمسلم أن يُذمَّ عدوه، أي أن يدخله في ذمته بأمان، استناداً إلى الحديث المشهور، والصحيح إن شاء الله، الذي يتحدث عن المسلمين في نص كبير

وفيه: « يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » وقد ورد في بعض النصوص أنهم في ذمة الله ورسوله، ومن منا ليس في ذمة الله ورسوله، والمسلمون أيضاً هم في ذمة الله ورسوله، إن هذا المصطلح مصطلح فقهي حقوقي، نشأ نتيجة لتطور المصطلحات الفقهية، وهو لايحكي عن ثابت في التشريع الإسلامي، ونحن الآن، في أبحاثنا الفقهية، نطور فكرة المواطنة ومصطلح المواطنة بالنسبة إلى أعضاء المجتمع السياسي.

إذن، المشروع الفقهي المطروح الآن، والذي ينمو بعون الله سبحانه وتعالى، داخل الأمة الإسلامية، وفي الفقه السياسي الإسلامي، هو فكرة ومفهوم المواطنة، والإسلام لايضيق أبداً بالتنوع في الانتماء العقيدي، مع الوحدة في الانتماء السياسي، ومن هنا فلعل الكثيرين يلاحظون أني أستخدم مصطلح (مجتمع سياسي واحد)، ومجتمع أهلي متنوع، وقد قلت قبل أيام: إنه لاتوجد أقليات في العالم العربي، فالعالم العربي توجد فيه أكثريتان، الأولى: مسلمون فيهم عرب وغير عرب، والثانية عرب فيهم مسلمون وغير مسلمين، فهاتان أكثريّتان كبيرتان في

العالم العربي، أما اختراع فكرة الأقليات وإعادة تكوين مشروع الأقليات الذي عرفته هذه الأمة في نهاية العصر العثماني، فهذا أمر لا نرى له مبرراً في الواقع ولا نقبله في سياستنا.

إذن، داخل الوطن الواحد المتنوع في الانتماء الديني، لا يوجد إلا الحوار وهذا هو منظور الفقه الإسلامي الذي هو التعبير عن فهم الفقهاء للشريعة الإسلامية، فلا يوجد بين المسلمين وغير المسلمين الذين يحملون جنسية وطنٍ واحد إلا الحوار، الحوار على أساس قبول كل واحد منهما للآخر كما هو وليس بشروط، وهذا هو الأساس الذي قبل فيه غير المسلم في المجتمع الإسلامي الأول، قُبلوا كما هم لا بشروط. كل الشروط التنظيمية التي وضعت لغير المسلمين، فإنما هي شروط وضعت نظائرها للمسلمين أنفسهم، فيما يتعلق بمشروع بناء المجتمع والدولة، ولا يمس إطلاقاً المضمون الثقافي لهؤلاء، كما لا يمس أي مقدس من مقدساتهم على الإطلاق، ولعل الإسلام ـ أقول كلمة لعل احتياطاً واحترازاً ـ في حدود معرفتي التاريخية ومعرفتي للعقائد والأديان: هو العقيدة الوحيدة التي قامت على

فكرة التنوع والتعدد، فالإسلام لا يؤمن إطلاقاً بالمجتمع النقي عقائدياً، وإن كان يؤمن بالأمة النقية عقائدياً طبعاً، فالأمة الإسلامية ليست أمة هجينة وملفقة.

إن المجتمع السياسي هو الذي يهمنا، سواء كنا هنا، أو في قاعة الجمعية العامة للأمم المتحدة، أو في أبسط جمعية، في أبسط نادٍ، في أبسط قرية، حينما نجتمع متنوعين، فإذا اجتمعنا مسلمين نبحث أمور دنيانا وآخرتنا، بيوتنا وقبورنا، أما إذا اجتمعنا متنوعين فنحن نبحث أمور دنيانا فقط.

إذن، الإسلام هو الثقافة الوحيدة، والحضارة الوحيدة، والدين الوحيد - فيما أعرف - الذي لا يعمل من أجل مجتمعات سياسية نقية، إذ هو يقوم أساساً على التنوع، ولا أدل على ذلك من آية التعارف التي خوطب بها الناس جميعاً ومنهم المسلمون ﴿يا أَيُّها النّاسُ إنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفوا إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ﴾ [الحجرات: ٤٩/ ١٣] وأنا أميل كثيراً إلى أن كلمة (الشعوب) هي تعبير عن

المجتمعات السياسية المنظمة والمكتملة، و كلمة (القبائل) تعبير عن المجتمعات السياسية التي تعيش حالة البداوة، ولنقرأ دائماً قوله تعالى: ﴿وَلا يَزالونَ مُخْتَلِفينَ، إلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١/ ١١٩] ولذلك خلقهم . . .

تعقيب للأستاذ جودت سعيد :

توضيح فكرة أن إسرائيل ليست مشكلتنا الرئيسية :

لقد مررت مروراً سريعاً على هذا الموضوع، وجاء ذكره عفوياً بين أفكار وخواطر متدفقة، وكان مما قلت : إن مشكلة إسرآئيل عَرَض لمرض موجود عندنا، وقد استخدم الأمريكيون هذا العَرَض (إسرائيل) لترسيخ أمراضنا .

قد تصدمون لهذا الكلام، وأنا أيضاً صدمت حين سمعته من مالك بن نبي الذي توفي قبل حوالي ربع قرن، وكان مما قال : إن المسلمين حين يجتمعون في مؤتمراتهم، يقولون إن المشكلة الأولى هي مشكلة فلسطين، ويغفلون المشكلة الأهم وهي مشكلة تخلف المسلمين، مشكلة عدم قدرتهم على حل مشكلاتهم فيما بينهم بالسلم، وبالطرق الشرعية، دون استخدام السلاح .

إن ضمير الأمة مليء بالأساطير، فحين كان صدام يقوم بتلك الأعمال البهلوانية، كانت قلوب المسلمين في أنحاء

الأرض، وحتى قلوب غير المسلمين، كانت مع صدام، وإلى الان لا زلنا نحلم بالبطل الذي يحررنا، ويقتل الزعماء الآخرين، ولو تمكن صدام من الزعماء العرب والمسلمين لقتلهم جميعاً، ولرقص المسلمون أيضاً فرحاً بقتلهم، إنها حقائق ينبغي أن نعترف بها، ولكن لو جاءت إسرائيل فلن يرقص المسلمون، ولن يفرحوا؛ بل سيقاومونها. والشعوب الإسلامية لديها القدرة على مقاومة إسرائيل، وليس إسرائيل فقط، بل أمريكا ذاتها أيضاً، بدليل أنه قتل في لبنان، هذا البلد الصغير الفقير، الذي لم تكن له حكومة يومها ولا جيش، قتل فيه من جنود المارينز - الأمريكيين وغيرهم - أكثرُ مما قتل في حرب الخليج، وكذلك الصومال الذي طُرد منه الأمريكيون وهم يحملون الخيبة والتعاسة، كل ذلك على يد محمد فرح عيديد، هذا الإنسان الجائع العاري.

إذن، فالأسلوب الذي يجب أن نقابل به أمريكا وإسرائيل أسلوب آخر، والمرض الحقيقي كامن بداخلنا، وصدق الله تعالى

إذ يقول: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا، قُلْتُمْ أَنَّى هذا؟! قُلْ: هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ٣/ ١٦٥]
وحين نسعى إلى إصلاح أنفسنا فإن إسرائيل هينة سهلة تذوب كما يذوب الملح، بل إن أمريكا ستتخلى عنها وستنبذها أيضاً.

الحوار مع الجمهور

١ - سؤال: موجه للعلامة شمس الدين:

هل ما يسمى بالسنة والشيعة مذهبان سياسيان أم دينيان؟

الجواب:

السنة والشيعة مصطلح مستخدم نسبياً، وهذا المصطلح لم يكون موجوداً في الأساس، وهو ليس مصطلحاً فقهياً، وليس مصطلحاً كلامياً، فبالمعنى الكلامي توجد فرق إسلامية وهي تنقسم ثلاثة انقسامات كبرى هي: التيار الأشعري، والتيار العدلي، الذي فيه معتزلة وشيعة إمامية، ويوجد تيار ثالث اصطلح عليه في العصر الحديث باسم السلفية، أما في المسألة الفقهية، فتوجد مذاهب، وهذه المذاهب منها ما هو حيٌّ قائم فعلاً وهي المذاهب الخمسة الكبرى ويضاف إليها المذهب السادس وهو المذهب الزيدي والمذهب السابع وهوالمذهب الإباضي، وتوجد مذاهب بائدة، ليس لها أتباع ظاهرون الآن.

وقد اصطلح على أن تسمى مجموعة المذاهب التي تعتمد النهج الأشعري بأهل السنة؛ بينما اصطلح على أن يسمى

الموجودون ممن يتخذون المذهب الكلامي العدلي، أو ما يسمى بأهل العدل أو العدلية، بالشيعة، الذين يغلب فيهم مذهب الإمامية الاثني عشرية، وكل هذه التسميات ليست سياسية محضة، بل هي تقسيمات فقهية كلامية.

ومن هنا فإعطاء مضمون سياسي للتشيع والتسنن، والشيعية والسنية، هو خطأ وقع في الشيعة في حالات، ووقع في السنة في حالات، وأصلحهم الله في حالات كثيرة فلم يقعوا في هذا الالتباس. والتنوع الشيّعي السنّي هو مثل التنوع المالكي في شمال إفريقية التي يغلب عليها المذهب المالكي، والحنفي في منطقة المشرق التي يغلب عليها التمذهب بالحنفية مثلاً، ووجود تشيع رسمي كوجود تحنف رسمي، وقد كانت الحنفية مذهباً رسمياً للدولة أيام الخلافة العثمانية، هذا أمر طارئ تماماً، والشيعية والسنية لا يعبران الآن عن اتجاهين سياسيين، بل هما تجمعان فقهيان، لكل منهما طابع مذهبي، ويمكن أن يندرجا في سياق سياسي واحد، ويبدو أن الأمور تسير الآن على هذا النحو بجهود المخلصين من أبناء هذه الأمة الذين يعملون في هذا السبيل ونسأل الله لهم التوفيق.

٢ - سؤال: موجه للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي:

تعرضتم في حديثكم للآية الكريمة (لا إكراه في الدين)، وقلتم بأن (لا) هنا هي (لا) النافية، وليست (لا) الناهية، وفهمنا أنَّ (لا) هنا تنفي الإكراه ولا تنهى عنه، وفي كلمة الأستاذ جودت سعيد استشهد بكلمتكم هذه، ليقول بأن (لا) هذه نهت عن الإكراه، ولا يجوز المطالبة بحكم الإسلام من خلال الإكراه، فنرجو من جانبكم التوضيح؟

الجواب:

اعتقد أن ما قد قلته أُيد من قبل أخي الأستاذ جودت سعيد، فهو أيدني في فهمي، وإذا قال نتيجة لتأييده لفهمي، ينبغي ألا نُنهى عن الإكراه، فمعنى ذلك: ينبغي أن ننهى عن العبث، فإذا كانت نتيجة اتفاقي معه واتفاقه معي في فهم (لا) أنها نافية فمعنى قوله «لا يجوز أن نكره» أي لا يجوز أن نعبث، لأن الإكراه عندئذ يكون نوعاً من العبث. أما النتيجة التي استخرجها من هذا الكلام، فلا أجد بينها وبين المقدمة من صلة، وهي قوله لا يجوز المطالبة بحكم الإسلام من خلال الإكراه.

نبدأ بالإيمان أولاً، والحكم التشريعي ثانياً، وقد قال الفقهاء: إن تطبيق الأحكام التشريعية يأتي نتيجة عقد إذعان مع الله عز وجل، ولذلك فجمهور علماء العقيدة، على أن غير المسلم غير مطالب بفروع الشريعة في دار الدنيا، وإذا أردنا أن نطالبهُ، فنطالبهُ بالعقيدة أولاً، فإن أذعن طُولب بالأحكام كما قال رسول الله ﷺ: «فإن هم تشهدوا شهادة الإسلام، فأنبئهم أن الله عز وجل فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة» ولذلك فنحن نقول إن أهل الذمة لا يطالبون بحكم لا يذعنون له، حتى إذا آمنوا بما آمنا به خضعوا للمطالبة الحتمية. نعم تقام الحدود على المسلمين، لأنهم أذعنوا لهذا التشريع، ومن ثم كان التطبيق منسجماً مع الإذعان.

٣ - سؤال: موجَّه للأستاذ جودت سعيد:

لقد سررنا بعرضكم الصريح والمبسط للموضوع، ومع هذا السرور، يبقى أن نفهم على أرض الواقع، كيف نطبق الأفكار والآراء التي عرضتموها، خاصة عندما نقع في ساحة الصراع، بين حركات إسلامية، تدعو لتطبيق الإسلام، تتصارع مع نظام وضعي يرفض تطبيق الشرع الإسلامي في حياة الناس لا بل يلجأ هذا النظام مثلاً للقمع والقتل والتعذيب، دون أن يعني سؤالي هذا تأييداً لكل ما تقول به سماحتك، ولكن أين يقف المسلم المؤمن المتشوق لقيام حكم الإسلام في مثل هذه الحالة؟

الجواب:

حين انهزم المسلمون في غزوة حنين قال أحد الصحابة: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع هؤلاء، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، ونحن أيضاً نبرأ إلى الله من الذي يقع في الخطيئة عن عمد، ونعتذر عن الذي يقع في الخطأ عن جهل، ونسعى إلى تعليمه، فالمسلم أخو المسلم، وعلينا أن ننصر إخواننا أيضاً «انصر

أخاك ظالماً أو مظلوماً» قالوا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً «قال: تكفه عن ظلمه». فنحن ننصح الطرفين. وهذا ما اجتمعنا من أجله. وليس لنا إلا إسداء النصح، فإن طاردونا نلزم بيوتنا، وإن أرادوا قتلنا بسبب هذه النصيحة، نقول كما قال ابن آدم: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ﴾ [المائدة: ٥/ ٢٨] ونلقي ثوبنا على وجهنا لكي لا يبهرنا شعاع سيفه.

٤ - سؤال: موجّه للعلامة شمس الدين:

هل الإصرار على إقامة مجتمع إسلامي، وأعني إقامة دولة إسلامية، دولة تسير وفق نهج القرآن، وسنة النبي ﷺ، يعد إكراهاً؟

الجواب:

أولاً: تكملة لكلام جناب الأخ البوطي، عبارة، ﴿لا إِكْرَاهَ في الدِّين﴾ هي لسان ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ في الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٢٢/ ٧٨] ولسان «لا ضرر ولا ضرار» وهذا يعني أن الله تعالى لم يشرع في دينه إكراه إنسان على الدين، أما بالنسبة إلى سؤال جناب الأخ السائل، فإن الإصرار على إقامة المجتمع الإسلامي الملتزم، وإقامة الدولة الإسلامية بمعناها؛ ليس إكراهاً، إذا تمّ بالحوار والحسنى. أما أن يتم بالقوة المسلحة وبمواجهة النظام الحاكم وهيئات المجتمع والمجتمع؛ فهو محاولة إكراه بلا ريب، و﴿لا إكراه في الدين﴾ كما تتناول الحالات الفردية، كذلك تتناول حالات الجماعات، وحالات المجتمعات، هذا في مجتمع غير المسلمين، أما في المجتمع المسلم المتدين بالإسلام في حياة أفراده وفيهم فساق، وفي بعض أسره

بعض الانحراف، وفي حياته العامة بعض المظاهر غير المنسجمة مع الشريعة، فإقامة المجتمع وإقامة الدولة في هذه الحالة، هي ليست إكراهاً على الإسلام، لأن هؤلاء مسلمون، وتجريدهم من إسلامهم افتراء عليهم، والقول لهم كما يقال: لستم مسلمين ونريد أن ندخلكم في الإسلام، أو لستم على شرع الله، ونريد أن نقيم شرع الله فيكم، أمر يحتاج إلى فقه كما قلت، وجعل المشروع الإسلامي في مواجهة المجتمع؛ قد لا تنطبق عليه آية ﴿لا إكراه في الدين﴾ الموجهة للمسلمين تجاه غيرهم، ولكن تنطبق عليه قواعد أخرى فقهية موثوقة، فإقامة المجتمع والدولة تتم بالطرق السلمية، بالدعوة الحسنة والأناة، ونتذكر هنا كلمة الإمام الغزالي: «لا نهدم مصراً لنبني قصراً»، فأن نواجه المجتمع، وأن نكفّر المجتمع، وأن نخلّ بالنظام العام لحياة المجتمع، تحت شعار إقامة المجتمع الإسلامي، وإقامة الدولة الإسلامية بمفهومها الفقهي، أن نعمل هذا بالعنف، باستخدام السلاح تجاه الأفراد والجماعات والمؤسسات، فهذا أمر في مفاهيمنا الفقهية ليس له وجه من وجوه المشروعية، وهو ليس إكراهاً ولكنه من صنفه.

٥ - سؤال: موجَّه للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي:

ما هو الرأي الفقهي في عملية التداول السلمي للسلطة، خاصة إذا أدى هذا التداول إلى الانتقال من الحكم الإسلامي إلى حكم غير إسلامي بفعل اختيار غالبية المجتمع على سبيل الفرضية؟

الجواب:

أحبُّ أن أقول بادئ ذي بدء: كثير من الأسئلة التي ترد من كثير من الشباب تدل على أنهم يتصورون أن إقامة المجتمع الإسلامي، تتمثل في أعمال حركية محصورة، كالانقضاض على الحكم، وكإيجاد كشرة إسلامية في مجالس الشورى، وكالسير بطريقة سياسية أو غير سياسية، كالعنف مثلاً، إلى مرافق الدولة والإدارة فيها، هذا العمل لا يسمى إقامة لمجتمع إسلامي، والمجتمع الإسلامي الذي أقيم في المدينة المنورة لم يكن نتيجة شيء من هذا، إقامة المجتمع الإسلامي تتم عبر معاناة طويلة، تتمثل في تربية الأفراد، وتتمثل في تربية الناشئة،

وتتمثل في سير مستمر على طريق الدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ، من خلال هذا. . يتلاقى نسيج، ويتكامل هذا النسيج، وإذا به يشكل آلياً ما نسميه اليوم بالمجتمع الإسلامي، وألفت النظر إلى الفرق بين المجتمع الإسلامي والأمة الإسلامية، كما قال سماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين.

من خلال هذا الذي قلت، يستبين الجواب عن سؤال الأخ السائل، فعملية الوصول إلى الحكم لا علاقة لها بإيجاد المجتمع الإسلامي عندما تكون عملية إيجابية مفيدة، ولا علاقة لها بإقامة المجتمع الإسلامي عندما تكون لها مغبة سيئة.

الأخ يسأل قائلاً: هل نشترك في الحكم حين تكون النتيجة تقلص فاعلية الإسلام؟ أو لا نشترك في الحكم؟ وكأنه يتصور أن الاشتراك في الحكم هو تجسيد لإقامة المجتمع الإسلامي، هذا ليس مهماً، بل المهم أن نربي المجتمع، فإذا ربيت المجتمع، فلن تقع في هذه المغبة أبداً، وأنا أسأل السائل، وأسأل الإخوة جميعاً ما العمل الذي قمتم به في تربية أولادكم الصغار تربية إسلامية؟ أين هي المدارس الإسلامية، التي هيأتموها من أجل أن تكونوا

ناشئة تحقق عن طريق سداها ولحمتها المجتمع الإسلامي؟ ما قيمة أن أتســـورَّ جـــدران الحكم؛ إذا كـــان هؤلاء الذين بـهم أطبِّق الإسلام، لم يفقهوا من الإسلام شيئاً، وإذا كانوا نتيجة تربية أمريكية أو فرنسية أو بريطانية؟!!.

٦ - سؤال: موجَّه للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي:

الإسلام يأمر القادة أن يقيموا المجتمع الإسلامي على النحو الذي ذَكَرته، في مجتمعنا على عاتق من تقع هذه المسؤولية؟

الجواب:

يتصور الأخ السائل أن مهمة إقامة المجتمع الإسلامي مهمة تخصصية، وأنها مهمة الساسة والقادة، وهذا خطأ. أنا أسأل عن الصحابة الذين بذلوا ما بذلوا من جهد خلال ثلاثة عشر عاماً كانت نتيجته انبثاق المجتمع الإسلامي، أفكانوا يحلمون بشيء اسمه المجتمع الإسلامي؟ أفكانوا يجلسون ليقولوا: لقد دنونا اليوم متراً إلى المجتمع الإسلامي، والآن دنونا أكثر، بقي لكي نتسور الحكم شيء بسيط؟ لا، كان عملهم عبارة عن نشر الدعوة الإسلامية وتحويل الناس من تائهين، إلى مسلمين ملتزمين، من خلال الإقناع وتربية النشئ، من خلال هذا أقول: الجواب أصبح واضحاً، مسؤولية من إقامة المجتمع؟ مسؤوليتنا جميعاً، مسؤولية كل أب في داره، مسؤولية كل أم، مسؤوليتنا جميعاً

تجاه أطفالنا، مسؤوليتنا جميعاً تجاه ماينبغي أن نفعله لإقناع إخواننا بالحق غيرة على هذا الدين، نحن إن فعلنا جميعاً هذا الأمر، تكاملت النتيجة ورأينا جميعاً ما يجب أن نقوم به من إيجاد المجتمع.

٧ - سؤال: موجَّه للعلامة شمس الدين:

هل نفهم من كلامكم إمكانية فتح باب الدعوة إلى الحوار والسلام مع إسرائيل، خصوصاً وأن هذا سوف يسهل الحوار مع أبناء فلسطين المسلمين؟

الجواب:

تعليقي على موضوع فتح باب الدعوة إلى الحوار والسلام مع العدو الإسرائيلي من أجل حوار أبناء الإسلام في فلسطين، هو أنه يبدو أن هذا السؤال نتيجة التباس في فهم جناب الأخ السائل لكلامي، فكل ما طرحته هو عكس هذا تماماً.

٨ - **سؤال: موجه للعلامة شمس الدين:**

هل ترون أن الأصل عدم جواز رد العنف بالعنف للوصول إلى الحكم أو المحافظة عليه، مع أن سيرة الراشدين وعهدهم يقر ذلك.. فأبو بكر قاتل المرتدين ومانعي الزكاة، وعلي دافع من موقعه كخليفة وإمام للمسلمين؟

الجواب:

أولاً: يوجد اختلاف كبير بين هذه الأطروحة وبين ما فعله الخلفاء الراشدون، فالأطروحة هي مواجهة مسلمين مسالمين بالعنف، وما وقع من الراشدين الأربعة، أجنبي عن هذا تماماً، فحروب الردة سماها السائل حروب ردة، ونحن لا نواجه حالة ردة في العقيدة حتى نُبرر هذه الحروب، وحروب الفتح ربما عدَّت في المناخ الفقهي السائد حروباً جهادية ذات طابع هجومي، ولكن في رأيي - وأنا المسؤول - أنها كانت حروباً دفاعية محضة، ولم يكن فيها أن الكفر بالإسلام وحده هو المبرر لاستعمال السلاح؛ وإنما كانت دفاعاً عن المجتمع الإسلامي، أما ما حصل في زمن الخليفة عثمان فهو فتنة ونسميه فتنة، وما حصل في عهد الإمام علي فهو ردٌّ للعنف، فالإمام علي تحمل المعارضة السياسية

في أوجها، ما لم يبلغ المعترضون إلى شهر السيف على المجتمع، وحينما شهروا السيف على المجتمع، اضطر أن يدافع عن المجتمع، وعن مشروع الدولة، لذلك فالأمثلة التي ذكرها جناب السائل مختلفة تماماً عن المشكلة المطروحة. المشكلة المطروحة هي أن مجموعة من الناس متدينة وتقية، وتحمل مشروعاً إسلامياً متحركاً، ترى أن من حقها أن تستعمل العنف في مواجهة نظام المجتمع، وفي مواجهة مؤسسات المجتمع، وفي بعض الحالات في مواجهة المجتمع، هذه الحالة - كما ذكرت أثناء مداخلتي - هي ليست جهاداً، وليست أمراً بالمعروف ولا نهياً عن المنكر، وليست قتال بغاة، وليست هي السبيل المقرر والمشروع فقهياً، لتطبيق الشريعة الإسلامية، فلا يوجد أي سبيل سوى الدعوة بالحسنى والتربية المتأنية، لتصحيح وضع المجتمع المسلم المتدين، وبحمد الله مجتمعاتنا مسلمة فيها فساد، مجتمعاتنا مسلمة فيها انحراف، وهي غير منحرفة، وهي ليست تعبيراً عن الانحراف، والدولة العلمانية الحديثة، يمكن أن نصلحها بغير أسلوب العنف، وإذا لم يكن أمامنا إلا العنف فلنبحث عن المشروعية قبل استعماله.

٩ - سؤال: موجّه للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي:

هل تدخل الردة والمخالفة في أصول العقيدة تحت باب حرية الرأي والاختلاف المسموح به؟

الجواب:

جمهور الفقهاء أو كثير من الفقهاء - وأنا أجنح إلى هذا الرأي - على أن المرتد يقاتل للحرابة وليس للكفر، فكفر الكافر الأصلي وكفر الكافر المرتد سواء، مع أننا لا نقتل الكافر الأصلي، ولكن لما كان استعلان الإنسان - الذي ارتد - بردته، في مجتمع إسلامي؛ كان هذا الإنسان من الخطورة بمكان، والعلماء قالوا: إن النظر في أمر هذا المرتد يعود إلى لون من ألوان السياسة الشرعية، كان للحاكم أن يحبسه، وأن يناقشهُ، وأن يحاوره وأن يتركه من الزمن ما يشاء، وأقول: إن المرتد الذي لا يريد أن يعلن حرباً من خلال ردته، بوسعه أن يجترَّ أفكاره الجانحة، دون أن يستعلن بها ليجعل منها سلاحاً جديداً ضد الإسلام، وأنا أعلم أن هنالك أناساً ارتدوا ثم انقضوا ليقفوا في جبهة حرب ضد

المسلمين، وقد جندوا أنفسهم في مؤتمرات، لإيقاع أشد أنواع الأذية بالمسلمين، فما قولك بهؤلاء، هل يقتلون حرابة أم كفراً؟
الحرابة هي السبب الذي يوجب قتلهم لا الكفر..

تعقيب للأستاذ جودت سعيد:

لا شك أن هناك أسئلة كثيرة، ولعل أكثرها يدور حول الأنظمة الحاكمة ومحاربتها للإسلاميين، والنزاع الموجود بين الطرفين، ولقد سررت جداً بحضور هذه الندوة وسماع كلام الإخوة العلماء، فالعلامة شمس الدين تحدث بهدوء في الأشياء التي تكلمت عنها بعنفوان، فاطمأننت نفسياً من صحة الأفكار، وأرجو من الشيخ شمس الدين أن يطبع كتابه لكي يستفيد منه الشباب الذين يتحمسون للإسلام وللجهاد، فأسئلتهم بحاجة لإجابات واضحة كالتي سمعناها منه الآن، فلقد قرر بهدوء كبير أشياء لم أستطع أن أقررها بعنفواني، فقال: ليس هناك حرب هجومية، وأنا أقول: ينبغي على المسلمين أن يحملوا السلم في العالم، وأن يدافعوا عن أي مضطهد يُظلم ويُخرج من دياره لأجل دينه فقط، وأن ينصروه مهما كان دينه، وفي أي مكان وجد، وهذا لا يعدُّ هجوماً؛ بل هو دفاع عن هؤلاء المستضعفين، لنقيم السلم بين الناس، ولنحمي المستضعف الذي لا يسمح له أن يظهر بدينه، ولنمكنه من ذلك.

وهنا أريد أن أذكّر بالرسول ﷺ الذي ذكر لنا الفتن في أحاديث كثيرة، فقال: «ستكون هناك فتنة، وحكام في جلود الشياطين، يتكلمون لغتكم... الحديث» وأرجو أن يعود الشباب إلى أحاديث الفتن فيتبينوا الأمر، وقد ورد في الحديث عن عبادة بن الوليد عن أبيه عن جده قال: «بايعنا رسول الله على السمع والطاعة؛ في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثره علينا، وعلى آلا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم».

وقال رسول الله ﷺ أيضاً: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» هذا المفهوم يجب أن يشاع في العالم الإسلامي وأن يُعلَّم الجنود أنه لايجوز لهم أن يطيعوا الأمر الذي يوجه إليهم ليقتلوا إخوانهم أو ليقتلوا المظلومين، حتى لا يُتخذ هؤلاء الجنود أداة لا تعرف ولا تميّز لأنه كما ورد في الأثر «من قتل تحت راية عُمِّيَّة قتل على الجاهلية» لأنه يقاتل دون أن يعرف الحق من الباطل، فعلينا إذن أن نتعلم ديننا، لأن العالم كله بحاجة إليه، وكما قال العلامة أبو الأعلى المودودي فإن جنرالات العالم لا يصلحون

مجندين في الجيش الإسلامي، لأنهم تعلموا أنه إذا طلب منهم شيء يجب أن ينفذوه دون استفسار أو اعتراض، فالسياسي هو الذي يقرر، والجنرال أو الجندي، كالبندقية أو كالصاروخ لا يملك إلا أن ينفذ، لكن الإسلام وباقي الأديان كرَّمت الإنسان فلم تجعله بهذا الشكل، وحالنا اليوم أننا قلدنا الآخرين فصرنا مثلهم نُؤمر فنطيع.

إن الإسلام يعلّمنا متى نقول: لا، ويعلمنا متى ينبغي أن نصبر وإن ضرب ظهرنا وأخذ مالنا، وقد سمعت يوماً كلمة جميلة من أحد الإخوة، ولا زلت أحفظها، قال: «لو صبرنا على قول الحق قليلاً لما عشنا على الذل طويلاً». إننا لا نعرف معنى قول الحق، لذلك نسكت عنه، ونحاول أن نستعمل الغدر، فإذا تمكنا من الآخر نقصم ظهره، وفي كل يوم يتعانق الزعماء العرب، ويبدؤون مشروعاً للوحدة، ثم لا يلبثون إلا قليلاً حتى يلعن بعضهم بعضاً، أين الذمة؟ بل أين الكرامة؟ أم أين المروءة والوفاء؟ أنا لا أطالب بالإسلام، وإنما أطالب بألا يغدر الأخ بأخيه.

كيف أثق بالآخر؟ بل كيف يثق هو بي؟ إذا أبحت لنفسي أنه بمجرد أن أتمكن من قتله فلن أتورع؟ إن في عقول الأمة أساطير تصورٌ لها أن الوحدة لن تتحقق إلا بالغدر، فإذا قام أحدٌ بهذا العمل؛ فإن الأمة ستستقبله برحابة صدر، لذلك لا يجد حرجاً في الغدر. إن مثل هذه الأمورة بحاجة إلى تحليلات عميقة لسلوك الإنسان ولمفاهيمه.

تعقيب للعلامة شمس الدين:

دائماً وفي مثل هذه الندوات؛ تثار إشكالات صعبة، وهذا يبدو في كل ندوة، لكننا دائماً نقول ونصرُّ: على أن نهج العنف في مواجهة الأنظمة أو المجتمع، هو نهج غير مشروع.

ويطرح هنا إشكال يقول: فماذا نصنع للأنظمة التي تستعمل العنف المسلح ضدنا؟ وهو أيضاً سؤال مشروع، وفي الحقيقة ليس في الإسلام أن يخضع المسلمون للقمع، هذا ليس في الإسلام، وهذا الإشكال يواجه الأنظمة ويواجه الحركات الإسلامية معاً، ومن هنا تتجلى ضرورة الحوار الذي يخرج المجتمعات الإسلامية وأنظمتها من هذا الإشكال، كالذي حدث في اليمن، فالذي حصل في اليمن، ليس نتيجة إرادة المجتمع في الجنوب أو في الشمال، بل هو نتيجة التباس أو غباء أو عمى. هذه الإشكالية لا أريد أن تبقى ماثلة في أذهان شبابنا وفي أذهان الدعاة، بأن يتوهموا أننا ندعو إلى التسليم المطلق، حتى ولو ضربوا ظهورنا، وغصبوا أموالنا، هذا ليس من الشرع في شيء، ولكن نميز بين المسألة السياسية المحضة، وبين المسألة الدعوية، في الدعوة لا ينبغي أن نُدخل مسألة الحكم والسلطة، بل ينبغي

الفصل بين المسألتين؛ بحيث يكون الوصول إلى أسلمة المجتمع كما يقال، أو إلى أسلمة الدولة عن طريق التحول التدريجي في قناعات المجتمع، وقواه الداخلية، وإن طال الزمان، بدلاً من الدخول في المواجهات نتيجة الرغبة في السرعة، بتوهم أن الله كلفنا بذلك، مثال اليمن ذكرته وهو آخر جراحنا الفاضحة، وقلت قبل أيام: أناشدكم الله لا نريد الوحدة وأوقفوا الفتنة، لأن توحيد أنفسنا بالقوة جريمة أكبر من أن نظل متفرقين بسلام، والذي نتج من وحدة غير مدروسة مبنية على أسس غير صحيحة هو هذه الحرب الفضيحة، التي دفع اليمن والعرب والمسلمون ثمنها من دون أي فائدة، حرب اليمن تحدث داخل كل مجتمع من مجتمعاتنا، نتيجة لمواجهات العنف التي وقعت فيها في الماضي الحركة القومية، وتقع فيها الآن بعض فصائل الحركة الإسلامية.

* * *

ثم اختتمت الندوة وانتقل الحوار من المنصة الرئيسية إلى كافة جنبات ساحة المعرض...

أفكار متميزة، تدخل في صلب عملية التقويم والترشيد، لمسيرة الحركة الإسلامية، يطرحها ثلاثة من أعلام الفكر في العالم الإسلامي؛ تتجاوز الكثير من الأسر التقليدية في مجتمعنا، وتعالج قضايا ساخنة وحساسة؛ حول قضية الحوار، ونظرة الإسلام إلى الاختلاف، وإلى تنظيم العلاقات في المجتمع الإسلامي، والجهاد، والحرية الفكرية والسياسية، والعنف، والردّة...